(ويعني بها هنا بنية الرواية) يُجيب «باختين»: بأن هـذه الطبيعـة إجتماعيـة باعتبـار أن المظهـر اللساني للأدب هو في الوقت نفسه مظهر إجتماعي. وهـذه النقطة بـالذات يـوضحها بشكـل دقيق في كتابه «الماركسية وفلسفة اللغة»، وخاصة عندما يتحدث عن علاقـة الدليـل اللغوي بالمدلول الاجتماعي. فالدليـل Signe لا يعكس الواقـع، ولكنه يجسـده ويدخـل في سياقـه، يقول: «كل ما هو إديولوجي يملك مرجعاً ويحيلنـا على شيء ما لَهُ مـوقع خـارج عن موقعـه. وبعبارة أخرى، فكل ما هو إديولوجي هو في الوقت نفسه بمثابة دليل»[79].

ولذلك فعندما نحلل روايةً (باعتبارها تركيبة من الدلائل) فنحن في الـوقت نفسه نتعـامل مباشرة مع الواقع الاجتماعي والثقافي والإديولوجي، ولسنا في حاجة إلى أن نقيم علاقة تناظر بين عالم الرواية والواقع ـ كما يذهب إليه «غولدمان» ـ لأن الرواية هي الواقع أيضاً.

أما جواب «باختين» عن السؤال التـالي: ما هي الـوسائـل والأدوات الممكنة لتحليـل بنية الرواية؟ فنراه يحدد هذه الوسائل اعتماداً على مفهوم (الحواريـة) Dialogisme، ولهذا المفهـوم مُقَـابِلاتٌ أخـرى تقترب منـه وتوضحـه كمفهوم تعـددية اللغـات Plurilinguisme أو مفهوم تعددية الأصوات Polyphonie.

فـالحوارية إذن هي المفتاح الحقيقي لتحليـل بنية الـروايـة. والحـواريـة هي ذلـك الشيء الأساسي الذي كان ينقص المنهج البنيـوي التكويني كـما بلوره «غولـدمان»، وخـاصة جـانب ممارسة تحليل البنية الروائية. إن الحوارية إذن هي الأداة الفعـالة في كـل تحليل لبنـاء الروايـة الداخلي. وفكرة الحوارية في نظرنا لها أهمية بالغة في جانب واحـد فقط هو التحليـل الداخـلي للعمـل الإبـداعي السردي بشكـل عـام، وليس للحـواريـة عـلاقـة أبـداً بجـانب التفسـير الغولدماني، وسأوضح ذلك أكثر من خلال ما سيأتي.

أما خطورة تصورات «باختين» فتكمن في هذا الجـانب الأخير بـالذات لأنـه في الواقـع لا يقول ـ أي «باختين» نفسه ـ بالحاجة إلى تفسير الأدب[80] مادام الأدب ـ في نظره هو تجسيد لما يجري في المجتمع.

إن جانباً كبيراً من المغالطة يكمن في فلسفة «باختين» هذه ـ إن كانت له بالفعـل فلسفة ـ ولعله يشكل السبب الذي من أجله حُوربت أفكاره في روسيا، لأنه ينفي بمطابقته بين الأدب والـواقع الـدور الذي يلعبـه الأدب ـ بـاعتبـاره بنيـة لها استقلال نسبي عن الـواقـع الثقـافي والإديولوجي وحتى عن الواقع الاجتماعي ـ ولهذا السبب نفسـه كان «بـاختين» يمثـل بالنسبـة

---

(79) Bakhtine: **Marxisme et philosophie du langage.** Ed. Minuit, P. 25.

(80) أتحدث هنا عن التفسير بمعناه الغلدمـاني، وهو يهـدف إلى تحديـد وظيفة الأدب ضمن البنيـة الفكريـة والإديولوجية المتصارعة في الواقـع، وهـي البنيـة نفسهـا التي يقول عنهـا (باختـين) بأنها تؤسس بنيـة الرواية. ولكنه يرفض أن يكون النص الروائي في كليته يتخذ موقفاً منها مع ذلك.